التقابل الدلاليّ في مرثيَّة السيِّد حيدر الحِلِّيّ
(عثر الدَّهر)

أ.د. أمين عبيد جيجان
جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Semantic Contrast (or Opposition) in the Elegy of Al-Sayyid Haydar Al-Hilli (Athar Al-Dahr = The Misstep of Time)

Prof. Dr. Amin Obaid Jijaan
University of Babylon / College of Education for Human Sciences

ملخَّص البحث

تناول هذا البحث التقابل الدلاليّ في قصيدة (عثر الدهر)، وهي من أشيع مراثي السيِّد حيدر الحِلِّيّ التي ندب فيها الحسينَ عليه السلام وآله وأصحابه في واقعة الطَّفِّ الأليمة.

برع الشاعر بما عُرف من موهبة شعريَّة عظيمة، وتمكُّن لغويّ كبير، في التقاط الألفاظ المتقابلة دلاليًّا؛ ليصوِّر الفاجعة بكلِّ تناقضاتها، وتضادِّها، وأظهرُ هذه التقابلات نوعان، هما:

التقابل بين الأفعال، والتقابل بين الأسماء، فأورد أفعالًا، ثمَّ جاء بأفعال تقابلها؛ ليرسم لنا صورة الواقعة التي تشمل الغرابة والتناقض والاستنكار في كلِّ أحداثها ومجرياتها، فأظهرت الأفعال بما تحمل من دلالات الحدث ما حصل في يوم الطَّفِّ.

واستعمل الشاعر أسماءً بقسميها الدالَّة على المحسوس أو المجرَّد، وجاء بما يقابلها ويُظهر معانيها من أسماء تخالفها وتضادّها في الدلالة؛ ليبدع بكائيَّة من أروع مراثي الشعر العربي.

كلمات مفتاحيَّة: التقابل، الدلاليّ، الرِّثاء، آل البيت، الحسين، الطَّف، الواقعة، الموت، الأسماء، الأفعال.

Abstract

This research deals with the semantic contrast (or opposition) in the poem "The Misstep of Time", which is one of the most widely circulated elegies by Al-Sayyid Haydar Al-Hilli. In this poem, he mourns Al-Hussein (PBUH), his family, and his companions during the agonizing event of Karbala (the Battle of Al-Taff).

The poet, known for his great poetic talent and vast linguistic mastery, excelled at choosing semantically contrasting words to depict the tragedy in all its contradictions and oppositions. The most prominent of these contrasts are of two types:

Contrast between Verbs: The poet introduced actions (verbs) and then used verbs that contrast with them to paint a picture of the event, which encompasses strangeness, contradiction, and condemnation in all its proceedings and developments. These verbs, with their indications of action, revealed what happened on the day of Al-Taff.

Contrast between Nouns: The poet employed nouns, both

concrete and abstract, and brought forth contrasting nouns that oppose them in signification, thereby illuminating their meanings. Through this technique, he created a lamentation (lament) that stands as one of the finest elegies in Arabic poetry.

Keywords: contrast, semantic, elegy, Ahl al-Bayt, al-Husayn, al-Taff, al-Waqi'ah, death, nouns, verbs.

المقدِّمة

التقابل الدلاليّ مصطلح جديد لظواهر قديمة تضمَّنها واستبطنها، تشمل التضادّ والاختلاف والطِّباق وغيرها، فحواها ألفاظ تقابلت معانيها على نحو التضادِّ أو الاختلاف أو التطابق السلبيّ، فكان هذا البحث عن هذه الظاهرة في قصيدةٍ تعدُّ من روائع الشاعر الحِلِّيّ الكبير السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وهذه القصيدة من عيون المراثي عنده، وهي قصيدة (عثر الدهر) الذي يصف بها واقعة الطَّفِّ، ويرثي الحسين عليه السلام وآله وأصحابه، رثاءً مفجعًا يرصد التناقض والتضادَّ في ما وصل إليه المسلمون في قتال أهل بيت نبيِّهم، وقتلهم والتمثيل بهم؛ فالشاعر لم يجد آليَّة لغويَّة توضِّح هذا التناقض الفكريّ والعقائديّ مثل التقابل الدلاليّ الذي يرصد الواقع المتناقض.

رصدتُ في القصيدة نوعَان من التضادِّ، هما الأظهر من أنواع التضادِّ في القصيدة، يستحقَّان الوقوف عندهما ودراستهما، وهما التقابل بين الأفعال، والتقابل بين الأسماء، فوجدت أفعالًا تتقابل استعملها الشاعر ليصف أحداثًا تقابلت وتناقضت، فَقَابلَ الشاعر بين الفعل (عثر) والفعل (أقال العثرة)، وكذلك بين الفعل (تراجع) والفعل (اطلب) وقابل بين أفعالٍ أخرى كان من ضمن متبنيَّات البحث، وكذلك وازن الشاعر بين المقابلة بين الأفعال والمقابلة بين الأسماء، فوردت عنده الأسماء متقابلة لأداء الدلالة نفسها التي سخَّر لها التقابل بين الأفعال، وهو رصد تناقض الأحداث والمواقف يوم الطَّفِّ، فقابَلَ بين الأسماء (يمين وشمال) وما فيهما من دلالة ظاهرة على التقابل، وكذلك

قابـلَ بين المصدرَيـن (اتصالا، وانفصالا)، واسـتعمل التقابل بين (الحـرام والحلال)، وكذلك أورد التقابل بين (الرضاع، والفصال)، وكذلك التقابل بين (السهل، والجبل)، ثمَّ خلص البحث إلى نتائج في الخاتمة.

التمهيد

التقابل الدلالي، لغةً واصطلاحًا ومفهومًا

التقابل الدلالي مصطلح شاع متأخِّرًا في الدراسات اللغويَّة في كتب علم الدلالة[1]، عُنونت به كتب ورسائل جامعيَّة درست التقابل ظاهرةً في كتاب، أو في القرآن الكريم، أو في سورة من سورِه، ولم يبتعد كثيرًا عمَّا قاله القدامى[2].

ومعنى التقابل متداول جدًّا في لغتنا المعاصرة، وهو مواجهة شيء لآخر، إن كان شخصًا معنويًّا أو في الماديَّات، فنقولُ: قابلت فلانًا، أي التقيت به مواجهةً، ونقول في المبايعة والمقايضة: هذا مقابل هذا، حتَّى سُمِّيت البرامج التلفزيونيَّة مقابلة؛ لما فيها من تواجه طرفٍ بآخر أو أكثر، وهذا التداول الحاليّ لم يبتعد كثيرًا عن مفهومه اللغويّ في عصر فصاحة العربيَّة، فعند الرجوع إلى المعجمات القديمة نجد المعنى لم يتطوَّر دلاليًّا تطوُّرًا كبيرًا، فهو في كلِّ المعجمات يأتي في مادَّة (ق ب ل).

يقول الخليل: «القِبَل: من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبلتُ قَبلَكَ، كأنَّكَ لا تريدُ غيرَه، وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبلًا أي مواجهة»[3].

(١) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١٩١.

(٢) من هذه الدراسات: ظاهرة التقابل في سورة (الزُّمر): ٩١، وظاهرة التقابل الدلاليّ في القرآن الكريم: ٢٤، وظاهرة التقابل الدلاليّ في اللغة العربيَّة: ٨١، والتقابل الدلاليّ في نهج البلاغة: ٢٨.

(٣) العين: ٥/ ٦٦ (قبل).

ولا يبعد الجوهريّ كثيرًا عمَّا قاله الخليل عن مادَّة (ق ب ل)، فيقول: «ورأيته قِبَلًا وقُبُلًا بالضمِّ، أي مقابلةً وعيانًا.. والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله»[1].

وكما دأب ابن فارس إلى ردِّ المواد اللغويَّة إلى أصل أو أصلين أو أكثر قليلًا، ردَّ مادة (قبل) وحصرها في أصل واحد، بقوله: «القاف والباء واللام أصلٌ واحد صحيح، تدلُّ الكلمة كلُّها مواجهة الشيء للشيء»[2].

ويتَّضح من كلِّ ما تقدَّم أنَّ المعجميِّين يعطون التقابل والمقابلة معنى المواجهة، بحسب ما تواترت عليه أقوالهم، وبمرور الزمن وتكاثر معاني المفردات في المعجمات المتأخِّرة، نجدهم زادوا معنى التعارض.

وقد جمع ابن منظور هذه المعاني، فقال: «المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك.. قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالًا: عارضه»[3].

وممَّا تقدم، نجد أنَّ التقابل يدلُّ على المواجهة والمعارضة، ودلالة المعارضة لا تخرج عن المواجهة، فمعنى عارض بالشيء أي واجهه به.

وذُكر التقابل في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وكان بالمعنى نفسه والسياق نفسه كذلك، في آيات هي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الحجر: ٤٧، وكذلك في قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الصافَّات: ٤٤، وكذلك في قوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الدخان: ٥٣، وقوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ الواقعة: ١٦.

في كل هذه الآيات، المقابلة تعني المواجهة وجهًا لوجه.

(١) تاج اللغة وصحاح العربيَّة، ٥/ ١٧٩٥ (قبل).
(٢) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٥١.
(٣) لسان العرب: ١١/ ٥٤٠.

وإذا ذهبنا إلى المعنى الاصطلاحيّ، نجده على اختلاف علوم العربيَّة، لا يبعد كثيرًا عن معناه اللغويّ، ولكن بخصوصيَّة العلم الذي يتناول التقابل.

فمفهوم التقابل في اللغة متعدِّد بتعدُّد اختصاص علوم العربيَّة، فهو يأخذ جانبًا من مفهوم الاضداد، بمعنى الشيء وما يخالفه، كما قال أبو حاتم السجستانيّ: «فأمَّا المعروف في الضدِّ في كلام العرب فخلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضدُّ الكفر»[1].

ويرى أبو هلال العسكريّ: «المتضادَّان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه، إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه، كالسواد والبياض»[2].

ويقترب مفهوم التقابل عند البلاغيِّين من المطابقة، كما يرى ابن الأثير فـ«المطابقة هي عند الجمهور الجمع بين المعنى وضدّه، ومعناه أن يأتلف في اللفظ ما يضادّ في المعنى»[3].

ويقترب من التقابل معنى المخالفة قال ابن الأنباريّ: «وأكثر كلامهم على ضربَين آخرين، أحدهما: أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين، نحو ذلك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، وقام وقعد، واليوم والليلة»[4]، ولعلَّ هذه الثنائيَّة بالاختلاف استجابت بها العربيَّة لقضية الخلق التي يؤكِّدها القرآن الكريم بآيات كثيرة، منها قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات: ٤٩.

(١) كتاب الأضداد: ٤١.
(٢) الفروق في اللغة: ١٥٠.
(٣) المثل السائر: ٢/ ١٤٢.
(٤) الأضداد: ٦.

وأجد أنَّ البحث اللغويّ التطبيقيّ لا يحتاج إلى كثير من التنظير العلميّ، والأفضل أن يستنبط نظريَّته من استنطاق الواقع اللغويّ المدروس، وكذلك النتائج، وما أن وجدت تقابلًا في قصيدة السيِّد حيدر الحِلِّيّ أثبته، وأصَّلت منه لجنبة نظريَّة، ووصلت إلى نتيجة متوخَّاة، وسيكون ذلك في مبحثَين.

المبحث الأوَّل

التقابل الدلاليّ في الأفعال

سأتناول هنا أفعالًا تقابلت في دلالتها، استعملها الشاعر ليصل إلى ما يريد من دلالة لمن يستمع أو يقرأ قصيدته.

١. التقابل بين (عثر، يقالا):

أنشد الشاعر في مطلع قصيدته:

عثر الدهر ويرجو أن يقالا
تربت كفك من راجٍ محالا[١]

بدأ الشاعر قصيدته، وهي في رثاء الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه في واقعة الطفِّ، فيُخبر أنَّ الدهر (عثر) لحصول هذه الحادثة فيه، ومعلوم أنَّ العرب تحمِّل الدهر بعض خطايا أهله، ممَّا يفعله أهل ذلك الزمان، كأنَّه هو فعله، ومعلوم أنَّ الثنائيَّة الدلاليَّة في العربيَّة في هذا الباب تقابل الفعل (عثر) بالفعل (أقال عثرته).

واستعمال الفعل (عثر) وبمقابله (أقال العثرة) من المجاز، وإلَّا العثرة للإنسان تكون برجله، وللدواب بقوائمها، قال الخليل: «عثرَ الرجل يَعْثُر ويَعثَر عثورًا، وعثر الفرس عِثار إذا اصاب قوائمه شيء فيصرعه»[٢]، فنلاحظ الفرق بين المعنى الحقيقيّ

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٥.
(٢) العين: ٢/ ١٠٥.

والمعنى المجازي الذي نسبه الشاعر إلى الدهر، والعثار لا يكون إلَّا بالرِجْل للإنسان، وبالقوائم للدواب. أمَّا الفعل (أقال) الذي أورده الشاعر في هذا البيت، فهو بمعنى الصفح عن عثرته، أي الدهر يطلب أن يُقال من هذه العثرة وأن يُصفح عنه، «يقال: أقال الله فلانًا عثرته، بمعنى الصفح عنه»[1] وفي الحديث: «**أقيلوا ذوي العثرات عثراتهم**»[2].

وقد جمع الزمخشريّ المعنَيَين العثرة وإقالتها، موضِّحًا المجاز في استعمالها، فقال: «ومن المجاز عثر في كلامه، ويعثر، وأقال الله عثرتك، وعثر الزمان به»[3].

ويتَّضح من استعمال الشاعر للعثرة وإقالتها كان على نحو المجاز.

٢. التقابل بين (تراجع، اطلب):

يستمرُّ الشاعر في خطاب الدهر، إذ لا يجد له عذرًا في الذي حدث فيه، فيطلب منه أن يتنصَّل، أي يدَّعي البراءة ممَّا حدث من خطبٍ حلَّ بالحسين عليه السلام وأهله، فهو هنا يخيِّره بين أن يفعل أحد الفعلَين المتقابلَين دلاليًّا، وهما (تراجع، اطلب) فقال:

فتراجع وتنصَّل ندمًا
أو تخادع واطلب المكر احتيالا[4]

فالفعل (رجع) يدلُّ «على ردٍّ وتكرار، يقول: رجع يرجع رجوعًا؛ إذا عاد»[5]. والتراجع تكلُّف الرجوع كما هو معروف من صيغة (تفاعل) في علم

(١) لسان العرب: ١١/ ٥٨٠.
(٢) نهج البلاغة: ٦٣٠.
(٣) أساس البلاغة: ٢٩٢.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٥.
(٥) مقاييس اللغة: ٢/ ٤٩٠ (رجع).

الصَّـرف[1]، ولا في أنَّ فعل التراجع يقابل ويعاكس فعل الطلب الذي اسـتعمله بصيغة الأمـر (اطلب)، فالطلب في اللغـة «محاولة وجدان الشيء وأخذه، والطِّلْبة: ما كان لك عند آخر من حقٍّ تطالبه به، والمطالبة: أن تطالب إنسانًا بحقٍّ لك عنده، ولا تزال تطالبه وتتقاضاه بذلك»[2].

ممَّـا تقدَّم يتَّضح جليًّا أنَّ الشـاعر قابـلَ بين الطلب والتراجع بصياغـة لغويَّة أدَّت الغرض الذي أراده.

٣. التقابل بين (خفُّوا، واحتبى):

المعـروف في الشـعر العـربي أنَّ الرثـاء مـدح الميـت، فهنا الشـاعر يمـدح الإمام الحسـين عليه السلام والمستشـهَدين معه، فيصفهم بصفات متقابلة، ولـكلٍّ وقتها وحالتها التي تكـون فيهـا مدحًا، عـلى الرغم من تضادِّها؛ لأنَّـه يدخل الفعل في جملـة تكون غاية في المدح، فقال:

إذا دُعـــوا خـفُّـوا إلى داعـــي الـوغـى
وإذا الـنـادي احـتـبـى كـانـوا ثـقـالا[3]

فهنـا يصفهم بأنَّهم يخفُّـون، أي يسرعون، إذا داعي الحـرب دعاهم لها، وفي ذلك من المدح ما لا يخفى؛ لأنَّه لا يخفُّ إلى داعي الوغى ويُسرع إلَّا الشـجاع؛ لأنَّه في الحرب تتثاقـل الناس خوفًا، فكلمة خفُّوا تعني السرعـة في الطاعة، تقول العرب «خفَّ فلان لفـلان، إذا أطاعـه وانقاد له»[4]، كذلك يُقال للقوم المتعاونين: «حشِّـدوا واحتشـدوا،

(١) شذا العرف: ٢٥، والصرف الواضح: ١٠٧
(٢) تهذيب اللغة: ١٣/ ٢٣٨ (خف).
(٣) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٦
(٤) تهذيب اللغة: ٧/ ٨ (خف).

خفُّـوا في التعـاون، أو دُعـوا فأجابـوا مسرعـين»[1]، وواضـح من نصـوص المعاجم الدلالة الدقيقة على النُّصرة لمن يدعوهم، وذلك أبلغ المدح بمن مدحهم الشـاعر، وهم الحسين عليه السلام وأصحابه.

وعاد الشاعر في عجز البيت ليأتي بما يقابل السرعة ويناقضها، وهو الاحتباء، وهو وإن كان مخالفًا لما مدحهم به في صدر البيت، لكنَّ الشاعر مدح الاحتباء في موضع غير موضـع السرعة، فهم هنا في المجالس حين الاحتباء يكونون ثقالًا من الهيبة والوقار؛ إذ إنَّ المجالس موضع الهيبة والوقار والسكينة، بخلاف مقام الدعوة إلى القتال.

والاحتباء مِن «احتبى الرجل إذا جمع ظهره وسـاقيه، وقـد يحتبي بيديه»[2]، وهذه جلسـة تجلسـها العرب؛ لأنَّ بيوتهم خيام من وبر أو شـعر، لا حائط فيهـا ليتَّكئ عليه الجالس. قال ابن الاثير: «ومنه الحديث (الاحتباء حيطان العرب)، أي ليس في البراري حيطان، فإذا أرادوا أن يسـتندوا احتبوا؛ لأنَّ الاحتباء يمنعهم من السقوط»[3]، فيكون لهم الجدار والحائط[4].

ونجد أنَّ الشاعر أراد بالاحتباء في هذا البيت أنَّ نادي القوم إذا اجتمعوا وجلسوا جلسـة الحديث والمشورة والتداول في أمورهم، كان الممدوحون ثقالًا، أي وقورين لهم ثقل الهيبة والاعتبار.

وبذلك وصل الشاعر بما قابل من فعلَين إلى مدح من أراد مدحهم، فتقابل الفعلان وتضادَّا، وكانا مدحًا؛ لاختلاف موضع المدح، ومجال الوصف.

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٠٢ (حشد).
(٢) تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٦/ ٢٣٠٧ (حبو).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٢٥ (حبا).
(٤) تاج العروس: ٣٧/ ٣٩٤ (حبو).

٤. التقابل بين (أرخص، وغالى):

ومن ضمن ما مدح به الشاعر ممدوحيه أنَّهم أرخصوا أرواحهم (للعوالي) أي الرماح، فهم بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله. ويقابل ذلك الرخص بالبيع أنَّ الله سبحانه وتعالى شرى هذه النفوس، فغالى في شرائها، فقال:

أرخصوها للعوالي مهجًا
قد شراها منهم الله فغالى[١]

ومن تفنُّن الشاعر باستعمال التقابل أنَّه بدأ البيت بالفعل الأوَّل تقابليًّا (أرخصوها)، وختم البيت بما يقابل ذلك الفعل، فجاء بالفعل (غالى).

وإذا عدنا إلى المعجمات لنكشف عن طرَفي التقابل، نجد أنَّ معنى «أرخصته: جعلته رخيصًا»[٢]. وواضح أنَّ هذا المعنى هو ما استعمله الشاعر في (أرخصوها للعوالي) أي جعلوها رخيصة، وهذا المعنى تتابعت عليه آراء المعجميِّين[٣].

أمَّا الفعل الذي قابَلَ به (أرخصوها)، فهو الفعل (غالى)، فهو في أصل اللغة: «الارتفاع في الشيء، ومجاوزة الحدِّ فيه.. وكلُّ ما ارتفع فقد تغالى، ومنه اشتقاق الشيء الغالي؛ لأنَّه ارتفع عن حدود الثمن»[٤]، وهذا يدلُّ على ارتفاع حدود الثمن لما يُشترى ماديًّا أو معنويًّا، فـ«غالى باللحم، وغالى اللحم بمعنى، أي: اشتراه بثمنٍ غالٍ»[٥]. واستعمل الشاعر هذه اللفظة ليدلَّ على أنَّ الله تعالى اشترى من الحسين عليه السلام وآله وأصحابه نفوسهم بثمنٍ غالٍ، وذلك مصداق قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٦.
(٢) العين: ٤/ ١٨٥.
(٣) يُنظر: معجم ديوان الأدب: ٢/ ٤٠٧، والقاموس المحيط: ١/ ٢٤٩.
(٤) جمهرة اللغة: ٢/ ٩٦١ (غلو).
(٥) معجم ديوان الأدب: ٤/ ١٢١.

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١١١، وكأنَّ الشاعر انطلق من هذه الآية الكريمة، فصاغ بيته بالمدح بأنَّ الله شرى أنفس الممدوحين، فغالى بشرائها، وأي ثمن أغلى من الجنَّة، ولا غرابة في ذلك؛ لأنَّ الحسين سيِّد شباب أهل الجنَّة، فمقابل ما أرخصوا أرواحهم في سبيل الله، شراها منهم فغالى في ثمنها بأنَّ لهم الجنَّة، فهم الفائزون.

٥. التقابل بين (نسيت، ذكرت):

في سياق تألُّم الشاعر وتفجُّعه على واقعة الطفِّ الأليمة، يدعو على نفسه بسياق معروف أنَّ الإنسان يدعو على نفسه بسوء إن لم يفعل أمرًا يراه واجبًا عليه، فقال:

نسيت نفسيَ جسمي أو فلا
ذكرت إلَّا عن الدنيا ارتحالا
حين تنسى أوجهًا من هاشم
ضمَّها الترب هلالًا فهلالا[1]

فالشاعر يدعو على نفسه بالفعل (نسيت)، بأن تنسى نفسه جسمه، فتفارقه بالموت، ويقابله بالفعل (ذكرت) المنفي، أي: فلا تذكر إلَّا الارتحال عن الدنيا، وذلك كلُّه يكون فيه، ويجري عليه، إذا نسي وجوه بني هاشم الذين ضمَّهم التراب هلالًا فهلالًا، أي مدحهم بأنَّهم أقمار ضمَّهم التراب بعد واقعة الطفِّ.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٦.

والتقابل بين التذكُّر والنسيان معروف شائع في لغة العرب، وورد في القرآن الكريم في قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤، فالآية الكريمة قابلت بين التذكُّر والنسيان في ذِكر الذين ذُمُّوا بذلك، أي نسوا ما كان ينبغي عليهم تذكُّره.

فالشاعر استعمل التقابل بين فعل التذكُّر وفعل النسيان؛ ليدلَّ على أنَّه لا يمكن له أن ينسى ما يجب تذكُّره، وهو مصرع الهاشميِّين في يوم الطفِّ.

المبحث الثاني

التقابل الدلالي بين الأسماء

١. التقابل بين (يمين، شمال):

طفق الشاعر في وصف فاجعة يوم الطفِّ، وبطريقة التقابل بين الأضداد والمختلفات بما تجود به قريحة هذا الشاعر الكبير، مستمرًّا في عتابه للدهر بما حصل يوم الطفِّ، وأنَّ الدهر وزَّع الموت يمينًا وشمالًا، فقال:

إنَّما أطلقت غربًا من ردى
فيه ألحقت بيمناك الشمالا[1]

فالشاعر هنا يصف الدهر بأنه أطلق الموت في كلّ ناحية واتجاه، وفعلَ ذلك بكلتا يديه فألحق بما فَعلت اليمين ما فعلته الشمال وكأنه لم يكتفِ بما فعلت اليمين فزاد عليه فأطلق بالشمال ذلك الموت، وثنائية اليمين والشمال شائعة في العربيَّة، وردت في القرآن الكريم فمن ذلك قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ الكهف: ١٨، وكذلك قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ق: ١٧، وكذلك في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ المعارج: ٣٧.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٥

وفي القرآن كلِّه لم يكن المعنى إلَّا في الجهة، فالشمال يقصد به جهة الشمال، واليمين يقصد به جهة اليمين[1]، وكذلك استُعمِلت في القرآن الكريم لليدين، فكلُّ يدٍ تمثِّل جهة، فواحدة للشمال، وأخرى لليمين، بلحاظ أنَّ كلَّ يدٍ بجهة، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ الحاقَّة: ١٩، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ الحاقَّة: ٢٥، فتُستعمل اليمين للخير والبشارة، والشمال للعذاب والوعيد، فيعطي «كلَّ إنسانٍ منشورًا بيمينه أو بشماله، على قدر عمله وجزائه»[2].

أمَّا الشاعر، فاستعماله لليمين والشمال في شعره على سبيل المجاز، فتصوَّر أنَّ الدهر له يدان، شمال ويمين، في قوله: «ألحقت بيمناك الشمالا»، وأنَّ هاتين اليدين توزِّعان الرَّدى وتطلقانه في الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه.

وعُرف عن العرب أنَّها تستعير من الأحياء لوازم للمجرَّد من الحياة، فتستعير اليدين والأظفار لمن ليس له ذلك[3]، كما قال أبو ذؤيب الهذليّ:

وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها
ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[4]

فاستعار أظفارًا للمنيَّة، وهي لا تملك ذلك، إمعانًا في وصفها بالفتك بالإنسان، فنلاحِظ أنَّ السيِّد حيدر الحِلِّيّ استبطن كلَّ دلالات اليمين والشمال المجازيَّة، ليجعل للدهر يدَين توزِّع المنايا على مَن رثاهم في قصيدته.

(١) المفردات في غريب القرآن: ١/ ٤٦٤-٤٦٥.
(٢) معاني القراءات للأزهريّ: ٣/ ١٣٤.
(٣) جواهر البلاغة: ٣١٤.
(٤) ديوان الهذليِّين: شعر أبي ذؤيب: ١.

٢. التقابل الدلالي بين (اتصالًا وانفصالا):

طفق الشاعر ببراعته اللغويَّة يقابل بين الأضداد، ويجمع بين المختلفات؛ ليوصل فكرة تفجُّعه ورثائه ومدحه لآل البيت عليهم السلام في واقعة الطفِّ، فقال:

فأبوا إلَّا اتِّصالًا بالظّبى
وعن الضَّيم من الرُّوح انفصالا[١]

فجاء بأسلوب الاستثناء في قوله: «فأبوا إلَّا اتِّصالًا بالظّبى»، فهم رفضوا كلَّ محاولة للاستسلام والخضوع، وأبَوْها كلَّها، واختاروا فقط ما استثناه عنهم، وهو الاتِّصال بالسيوف في ملحمتهم البطوليَّة.

وجاء بالمصدر (اتِّصالا)، وهو مصدر الفعل (اتَّصل)، وهو من «وصل: كلُّ شيء اتَّصل بشيء فما بينهما وصلة»[٢]. كذلك قال الفارابيّ مستشهدًا بآيٍ من الذِّكر الحكيم: «ووصل أي: اتَّصل، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ (النساء: ٩٠)، معناه: يتَّصلون»[٣]، وبهذه الدلالات استعمل الشاعر كلمة (اتِّصالا) التي جاء بها مصدرًا منصوبًا متقابلًا مع (انفصالا) المصدر المنصوب في الشطر الثاني من البيت، وانفصل في اللغة من «فصل: الفصل بَونٌ بين الشَّيئَين، والفصل من الجسد: موضع الفصل، وبين كلِّ فصلَين وصْل»[٤]

ويتَّضح أنَّ الفصل في اللغة هو خلاف الوصل، والاتِّصال خلاف الانفصال، فهو يقابله تضادًّا، وهو ما استعمله الشاعر في هذا البيت الذي مدح به الحسين عليه السلام وأصحابه بأنَّهم اتَّصلوا بالسيوف، وانفصلوا عن الأرواح؛ من أجل الدين والعقيدة.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٦.
(٢) العين: ٧/ ١٥٢ (وصل).
(٣) معجم ديوان الأدب: ٣/ ٢٥٤. والنص القرآني من الآية (٩٠) من سورة النساء.
(٤) العين: ٧/ ١٢٦ (الفصل).

٣. التقابل الدلالي بين (حرمات، وحلالا):

يستمر الشاعر في رصد متناقضات يوم الطف ولم يجد له معينًا مثل التقابل الدلالي الذي يكشف ذلك بوضوح، فمن ذلك قوله:

عـــترة الـــوحـــي غـــدت في قـتـلـهـا
حـــرمـــات الله في الـــطـــفِّ حـــلالا[1]

فيبدأ الشاعر بذِكر آل البيت عليهم السلام، ووصفهم بأنَّهم «عترة الوحي»، و«عترة الرجل: أصله، وعترة الرجل أقربائه من ولده وولد ولده»[2]، وواضحٌ جدًّا أنَّ استعمال الشاعر على نحو المجاز، فإنَّ الوحي لا عترة له على الحقيقة، ويقصد الشاعر على نحو المجاز أنَّه «عـترة أهل الوحي» على حذف المضاف، كما في قوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ يوسف: ٨٢، أي اسأل أهل القرية[3].

فأراد الشـاعر مدحهم بأن أضافهم إلى الوحي؛ لأنَّهم عترة النبيِّ صاحب الوحي، ثـمَّ يرصد المفارقـة الفظيعة، وهي أن يقتل المسـلمون أهل بيت نبيِّهـم، فيأتي بالألفاظ المتقابلـة تضادًّا وتناقضًا، الدالَّة على ذلك، ففي الشـطر الأوَّل من البيت يأتي (حرمات الله) يقابلها في الشـطر الثاني (حلالا)، وشـاع تقابل جذرَي هاتين الكلمَتَين في الآيات القرآنيَّـة كثـيرًا، ومنهـا قولـه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓـُٔ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ التوبـة: ٣٧، فتقابلـت لفظتـا الحلال والحرام في أكثر من موضع في هذه الآية الكريمة وحدها، وتقابلُ هاتين اللفظتَين

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٧.
(٢) العين: ٢/ ٦٦ (عثر).
(٣) يُنظر: الخصائص: ٢/ ٣٦٤، ودلائل الإعجاز: ١/ ٣٠١.

في الواقع اللغويّ ظاهر جدًّا، فصارت تُعرَف إحداهما بالأخرى وعلى ذلك اعتمدت المعاجم في توضيح معناهما، فابن دريد يقول: «الحرام: ضدُّ الحلال، والحرم ضدُّ الحل.. وحرمة الرجل التي لا تحلُّ لغيره»(١).

ومن الغريب أنَّ لفظتي الحلال والحرام على تضادِّهما، استعملت العرب لفظًا يدلُّ عليهما معًا فقيل: «البسل: الحلال، والبسل الحرام»(٢).

وقال الفارابي: «والبسل: الحرام.. والبسل: الحلال، وهذا الحرف من الأضداد»(٣).

وبلحاظ ما تقدَّم من دلالات استوعبها الشاعر، فصاغ منها بيته الذي يرصد التناقض والتضاد الدينيّ والأخلاقيّ عند مَن قاتَل إلامام الحسين عليه السلام؛ فانتهك حرمته، وهو بذلك انتهك حرمة الدين والنبيّ صلى الله عليه وآله؛ بقتل ذريَّته، وهذه الجريمة التي جعلت حرمات الله حلالًا.

٤. التقابل الدلاليّ بين (الرِّضاع، والفِصال):

وردت ثنائية الرضاعة والفصال في بيتين من الشعر في قصيدة الشاعر الحِلِّيّ، الأوَّل منهما هو:

كم رضاع الضيم لا شبّ بكم
ناشئ أو تجعلوا الموت فصالا(٤)

(١) جمهرة اللغة: ١/ ٥٢١ (حرم).
(٢) العشرات في غريب اللغة: ١١٩.
(٣) يُنظر: ديوان الأدب: ١/ ١٢٣.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٨.

والثاني هو:

رضعت من دمها الموت فيا
لرضاع عادَ بالرغم فصالا[1]

سأتناول الثاني منهما؛ لأنَّ وجه التقابل في كِلَا البيتَين واحد، فالشاعر يتحدَّث عن الصبية في يوم الطفِّ، ويصفهم بأنَّهم رضعوا من الحرب، ولم يكن ثدي الحرب إلَّا النِّصال وأدوات الحرب، ولا شكَّ في أن الرضاع، بحسب وصف الشاعر، سيعود فصالًا ،أي يعود فطامًا أبديًّا؛ لأنَّ نهايته الموت المحقَّق. وتقابل الرضاع والفصال ثنائيَّة معروفة في اللغة تحقِّق الواقع اللغويّ، فكلُّ إلاناث ترضع أولادها مدَّة من الزمن يكون الفصال أي الفطام، وكثير من آي الذِّكر الحكيم تناولت هذه الثنائيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ البقرة: ٢٣٣.

وثنائية الرضاع والفصال تزخر بها معجمات اللغة وقد يردان في حديث واحد على وفق تقابلهما. قال الهروي «والفصال هو الفطام ومنه الحديث (لا رضاع بعد فصال»[2]. ويتضح التضاد في تقابل الكلمتين فلا يجتمعان على موضع واحد، فأحدهما يلغي الآخر ويستبعده، فالحديث يبيّن أنّ الصبي إذا فطم فلا يرجع للرضاع، لأنهما متضادان. ولا تخرج معجمات اللغة عن هذا المعنى وإيراد اللفظتين لبيان تناقضهما فأحدهما ينفي الآخر[3].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٩.
(٢) غريب الحديث: ٣/ ٧٠.
(٣) يُنظر: تاج اللغة وصحاح العربيَّة: ٥/ ١٩٢٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٦٩.

٥. التقابل بين (السهل، والجبل):

تنوَّع الشاعر في تقابلاته بين الأفعال والأسماء، ونوَّع هذه التقابلات بين الحسِّيّ والمعنويّ، وبين الإنسانيّ والمادِّيّ، فمن هذه التقابلات المقابلة المكانيَّة الجغرافيَّة التي تتَّصل بالطبيعة والأرض، فقال:

وطَّـــــأوا آنـافـكـم في كـربـلا
وطـأةً دكَّـت عـلى السَّـهـلِ الجِـبـالا[1]

فالشاعر هنا في محاولة لاستنهاض آل البيت عليهم السلام لأخذ ثأرهم، يصف الواقعة وصفًا مؤلمًا بأنَّ الأعداء وطَّأوا أنوفهم في المعركة، وشبَّه هذه الوطأة كأنَّها دكَّت على السهل الجبال، ولا شكَّ في أنَّ أعظم ما يحدث في الطبيعة أن يُدكَّ الجبل وينهار، ويقع على السهل.

فهو يرى وقع الحادثة في قتل العترة الطاهرة بهذه الصورة، أن يندكَّ الجبل على السهل، وتقابلُ لفظَتَي السهل والجبل شائعٌ في اللغة؛ لشيوعه في الطبيعة الأرضيَّة، فالأرض إن ارتفعت شمخت، فتكون جبلًا، وما انبسط من الأرض واعتدل، كان سهلًا، وسُمِّي بذلك.

ووردت اللفظتان في آية واحدة في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ الأعراف: ٧٤، فالآية تتحدَّث عن نِعَم الله تعالى على عباده، فهو قد سخَّر لهم الجبال على خشونتها وصعوبة تطويعها، فمكَّنهم من أن ينحتوا منها البيوت، وسخَّر لهم السهول ليبنوا فيها قصورًا[2]. ويبدو أنَّ التفاوت

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٤٨.
(٢) ينظر: الكشَّاف: ٢/ ١٢٠.

بـين البناء في السـهول ونحت البيوت من الجبال لغاية أنَّهم «اتَّخـذوا البيوت من الجبال لطول أعمارهم، فإنَّ السقوف كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[1].

وهذه الثنائيَّة التقابليَّة المتضادَّة معنًى استعملها الشاعر؛ ليصف ما حصل في واقعة الطفِّ، فشـبَّهه بأنَّه مثل أن يُدكَّ جبل على عظمته على السـهل؛ وذلك لهول ما وقع في يوم الطفِّ ممَّا كان ينبغي ألَّا يحدث أبدًا.

الخاتمة

هذه نتائج أسـفر عنها البحـث وتمخَّض، حوتها صفحاتـه، وتداخلت بين طيَّاته، وتشـابكت بين أسـطره، ممَّا قصده السيِّد حيدر الحِلِّيّ في بكائيَّته الشهيرة، وممَّا فهمت أنَّه قصده، ودلَّت عليه لغة الشـاعر المكثَّفة والعميقة الدلالة التي امتزج فيها الفنُّ والبكاء، واختلط فيها الحزن مع الإبداع، في اسـتعمال اللغة، واسـتنطاق آليَّاتها، وهي على النحو الآتي:

١. التقابل الـدلاليّ مصطلح معاصر، ولكنَّه يسـتبطن في داخله ظواهر ومفاهيم كثيرة، تجعله يشتمل على الاختلاف بين المفردات والتباين والتضاد والتطابق، فهو يشـمل كلَّ ما قرَّ في ذهن العربيّ من لفظةٍ لا تنفكُّ عن أخرى، تخالفها أو تضادها، أو تطابقها، على نحو الخلاف والتغاير.

٢. كشـف البحث عن وجود تقابلَين ظاهرَين في مرثيَّة الشـاعر، هما التقابل بين الأفعال، والتقابل بين الأسـماء، وأعرضَ البحث عن أنواع أخرى من التقابل لم تشكِّل ظاهرة واضحة.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢٣٩.

٣. من إبداع الشاعر في التقابل بين الألفاظ أن يكون هذا التقابل قريبًا ومباشرًا، ويجعله في بيت واحد، ولا يباعده بين بيت وآخر؛ ليواشج الصِّلة بين اللفظَين على قربٍ من دون تباعد، وفي أغلب الاستعمالات جعل اللفظَين المتقابلَين أحدهما في صدر البيت، والآخر في عجزه؛ ليتحقَّق التقابل بين اللفظَين في طرفَي التقابل في الشعر المعروف بالصَّدر والعجز.

٤. من الأفعال التي قابلَ بينها الشاعر فعلان (عثر، وأقال العثرة)، وهو يخاطب من عَثر، ولكن لا يمكن أن تُقال عثرته من أحد؛ لما حدث فيه من خطب أصاب آل البيت عليهم السلام في يوم الطفِّ.

٥. استعمل الشاعر المقابلة بين فعلَين، هما (تراجع، واطلب)، وهو يخاطب الدهر، ويخيِّره بينهما على نحو الخداع من الدهر، ليكون له عذر في ما حصل فيه في المعركة بين آل البيت عليهم السلام، وأعدائهم.

٦. قابل الشاعر بين (خفّ واحتبى)؛ ليوازن بين حالَين، الأولى أن يخفُّوا ويسرعوا عند الدعوة إلى الحرب، وحين الاحتباء يكونون ثقالًا بالمهابة والوقار.

٧. من مقابلات الشاعر في الأفعال مقابلته بين (أرخص وغالى)؛ ليدلَّ على أنَّ الحسين وآله وأصحابه أرخصوا حياتهم، فاشتراها منهم الله؛ فغالى في ثمنها، وثمن الشهادة الجنَّة.

٨. تقابل الفعلان (نسيت وذكرت) في قصيدته؛ ليدعو بهما على نفسه، إذا نسي مصيبة آل البيت عليهم السلام في واقعة الطفِّ الأليمة.

٩. من تقابلات الألفاظ في الأسماء المقابلة بين (اليمين والشمال)، فمن شيوعها

متقابلان في الوجود، وفي اللغة جعل الشـاعر يستعملهما مجازًا كيَدَين للدهر، وزَّع بهما المنايا على مَن رثاهم الشاعر.

١٠. ممَّا ورد متقابلًا في قصيدة السيِّد حيدر الحِلِّيّ (اتصالا وانفصالا)، فقد أجراهما متقابلَـين دلالةً وبنيةً وإعرابًا؛ ليوضح أنَّ الحسـين عليه السلام وآله وأصحابه أبَوا إلَّا اتِّصالًا بالسـيوف، وأبَوا إلَّا الانفصال عـن أرواحهم تضحيةً من أجل الدين والعقيدة، والثورة على الظلم.

١١. أورد الشـاعر في قصيدته (حرمات وحلالا) متقابلتَين، وقد شـاع تقابلهما في اللغـة والقرآن الكريم، وجاء بهما الشـاعر هنا ليخبر أنَّ حرمات الله أصبحت في يوم الطفِّ حلالًا، حيث انتُهِكت المحارم فيه.

١٢. ممَّا جاء متقابلًا في مرثية السيِّد حيدر الحِلِّيّ (الرضاع والفصال)، وبين الرضاع والفصـال تقابـلٌ وتضادٌّ عرفته الحيـاة؛ لأنَّه متعلِّـق بكلِّ والـدة ومولودها، واسـتعمل الشـاعر هذا التقابـل على نحو المجـاز؛ ليتفجَّع به عـلى صبية يوم الطفِّ الذين كان رضاعهم السـيوف والسـهام والموت، ولا شـكَّ في أنَّ هذا الرضاع ينتهي بالفصال السريع، وهو الموت في هذه المعركة.

المصادر

* القرآن الكريم.

أوَّلًا: الكتب

١. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

٢. الأضداد، أبو حاتم السجستانيّ، تحقيق: أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت، ١٩١٣م، مطبوع تحت عنوان ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعيّ، ولابن السكِّيت، ويليها ذيلٌ للصاغانيّ.

٣. الأضداد، محمَّد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٩٠م.

٤. تاج اللغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطَّار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. تاج العروس في جواهر القاموس، السيِّد محمَّد مرتضى الزبيديّ، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٩٧م.

٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبيّ، تحقيق: أحمد البردونيّ وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصريَّة ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.

٧. جمهـرة اللغة، أبو بكر محمَّد بن الحسـن بن دريـد الأزديّ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السـيِّد أحمد الهاشـميّ، ط١٢، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت (د.ت).

٩. الخصائـص، أبـو الفتح عثمان بن جنِّـيّ، الهيئة المصريَّة العامَّـة للكتاب، ط٤، القاهرة (د.ت)

١٠. ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، تحقيق: الدكتور مضر سليمان الحِلِّيّ، شركة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، بيروت، ٢٠١١م.

١١. ديوان الهذليِّين، طبعة دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢. دلائـل الإعجاز، عبـد القاهر الجرجـانيّ، تحقيق: محمود محمَّد شـاكر، مطبعة المدنيّ، ط٣، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٣. شـذا العُرف في فنِّ الصَّرف، الشـيخ أحمد الحملاويّ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٨م.

١٤. الـصرف الواضح، عبد الجبَّـار علوان النايلـة، دار الكتـب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

١٥. العـشرات في غريب اللغـة، أبو عمرو الزاهد المعروف بغـلام ثعلب، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية، عمَّان.

١٦. علـم الدلالـة، د. أحمـد مختار عمـر، مكتبـة الـدار العربيَّـة، ط١، الكويت، ١٩٨٢م.

١٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، ود. إبراهيم السامرَّائيّ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.

١٨. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمَّد عبد المعين، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٩٦٤م.

١٩. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكريّ، دار الآفاق، ط١، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٠. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، مؤسَّسة الرسالة للطباعة، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢١. الكشَّاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٢. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٣١٤هـ.

٢٣. المحكم والمحيط الأعظم، عليّ بن إسماعيل بن سيِّده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد حوفي، ود. بدوي طبانة، دار النهضة، مصر (د.ت).

٢٥. معاني القراءات، محمَّد بن أحمد بن الأزهري، مركز البحوث في كليَّة الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة السعوديَّة، ط١، ١٩٩١م.

٢٦. معجم ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابيّ، تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسَّسة دار الشعب للصحافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب، ط١، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

٢٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ، تحقيق: صفوان عدنان الداوووديّ، دار القلم، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود أحمد الطناحيّ، المكتبة العلميَّة، بيروت، ١٩٧٩م.

ثانيًا: الرسائل الجامعيَّة

٣٠. التقابل الدلاليّ في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، منال صلاح الدين عزيز، كليَّة الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٤م.

٣١. التقابل الدلاليّ في نهج البلاغة (رسالة ماجستير)، تغريد عبد فلحي، إعداد مكتبة الروضة الحيدريَّة الرقميَّة.

٣٢. ظاهره التقابل في اللغة العربيَّة (رسالة ماجستير)، عبد الكريم محمَّد حافظ، كليَّة الآداب، الجامعة المستنصريَّة، ١٩٨٩م.

ثانيًا: البحوث

٣٣. ظاهره التقابل الدلاليّ في سوره الزُّمر (بحث)، الدكتور أحمد نصيِّف الجنابيّ، مجلَّة الرسالة الإسلاميَّة، مطبعة الدار العربيَّة، بغداد، ١٩٨٨م.